حديث النفس لانه اذا كان الهم لا يكتب اى كما استفيد من قوله واحدة فحديث النفس اولى انتهى والاصح الذى
خالفه في شرح المنهاج فقال انه ظهر له المؤاخذة من اطلاق قوله صلى الله عليه وسلم او تعمل ولم يقل او
تعمله قال فيؤخذ منه تحريم المشي الى معصية وان كان المشي في نفسه مباحا لانضمام قصد الحرام اليه وان
كان كل من المشي والقصد لا يحرم عند انفراده لانهما اذا اجتمعا كان مع الهم عملا لما هو من اسباب المهموم
به فاقتضى اطلاق او تعمل المؤاخذة به بتمه ولده فانه قال في منع الموانع هنا دقيقة نبهنا عليها في
جمع الجوامع وهي ان عدم المؤاخذة بحديث النفس والهم ليس مطلقا بل بشرط عدم التكلم والعمل حتى اذا
عمل يؤاخذ بشيئين همه وعمله ولا يكون همه مغفورا وحديث نفسه الا اذا لم يتعقبه العمل كما هو ظاهر الحديث
ثم حكى كلامي ابيه السابقين ورجح المؤاخذة وخالفه غيره فرجح عدمها قال والا لزم ان يعاقب على المعصية
عقوبتين وفيه نظر ولا يلزم عليه ذلك لان الهم حينئذ صار معصية اخرى ثم قال في الحلبيات واما العزم
فالمحققون على انه يؤاخذ به وخالفه بعضهم اى ونسب للشافعي وابن عباس رضي الله تعالى عنهم وقال انه
من الهم المرفوع تمسكا بقول اللغويين الهم بالشيء عزم وهو تمسك غير سديد لان اللغوي لا ينزل الى
هذه الدقائق واحتج الاولون بحديث اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل
يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه فعلل بالحرص وبالاجماع على
المؤاخذة باعمال القلوب كالحسد اى وعليه حمل ابن عباس وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله
والكبر والعجب ومحبة ما يبغضه الله تعالى وعكسه ونحو ذلك اى كعامة السلف من الفقهاء والمحدثين
والمتكلمين كما قاله القاضي عياض وبقوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم الاية على تفسير الالحاد بالمعصية
ثم قال ان التوبة واجبة فورا ومن ضرورتها العزم على عدم العود فمتى عزم عليه قبل ان يتوب منها
فذلك مضاد للتوبة فيؤاخذ به بلا اشكال وهو الذي قاله ابن رزين ثم قال في آخر جوابه به والعزم على
الكبيرة وان كان معصية سيئة فهو دون الكبيرة المعزوم عليها ولا ينافي ما تقرر ما روي عن الحسن في الحسد
وسفيان في سوء الظن بالمسلم انه اذا لم يصحبه قول او فعل فهو معفو لان ذلك محمول على ما يجده الشخص
من نفسه بالجبلة مع كراهته له ودفعه عن نفسه ما امكنه واغفل السبكي قولا ثالثا وهو انه يؤاخذ بالهم
بالمعصية في حرم مكة دون غيرها وروي عن ابن مسعود من قوله موقوفا مرة ومرفوعا اخرى قيل والموقوف
اصح ونقله بعض اصحاب احمد عنه تنبيه لم يقع من يوسف صلى الله عليه وسلم هم بمعصية على
ما قاله ابن ابي حاتم ومن وافقه ومعنى الاية عندهم وهم بها لولا ان رأى برهان ربه اى لولا رؤية البرهان
لهم ولكنه لم يهم لانه رآه وعلى المشهور في الاية فالهم الواقع منه بمعنى حديث النفس المغفور رواه البخاري

وسلم

وسلم في صحيحيهما بهذه الحروف وفي رواية لمسلم بعد واحدة او محاها الله عنه ولا يهلك على الله
الا هالك اى لا يهلك بعد هذا الفضل العظيم بتلك المضاعفة وبذلك التجاوز الا من القى بيديه الى التهلكة وتجرى
على السيئات واعرض عن الحسنات ولهذا قال ابن مسعود ويل لمن غلبت احاداته على عشراته وجاء مرفوعا هلك من
غلب واحده عشرا واخرج احمد لا يعجز احدكم ان يعمل لله الف حسنة حين يصبح يقول سبحان الله وبحمده
مائة مرة فانها الف حسنة فانه لن يعمل ان شاء الله مثل ذلك في يومه من الذنوب ويكون ما عمل من خير سوى
ذلك وافرا ثم هذا الحديث حديث شريف عظيم جامع لاصناف الخير ومقادير الحسنات والسيئات بين فيه
صلى الله عليه وسلم عن ربه ما تفضل الله تعالى به على عبيده بما سبق تقريره وفيه تصحيح القول بان الحفظة
تكتب ما يهم به العبد من حسنة او سيئة وانهم يعلمون منه ذلك ورد على من زعم انهم انما يكتبون ما ظهر من
عمل او قول واستدلوا عليه له بشيء روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها والصواب ما صح عنه صلى الله عليه وسلم
انهم يكتبون الهم واطلاعهم عليه اما بالهام او بكشف عن القلب وما يحدث فيه كما يقع لبعض الاولياء او بريح
يظهر لها من القلب فانظر من النظر بمعنى اعمال الفكر ومزيد التدبر والتأمل يا اخى نداء تلطف وشفقة
ليكون ادعى الى الامتثال والقبول قال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي
احسن وفقنا الله اى اقدرنا الله تعالى على الطاعة بخلق قدرتها فينا واياك بدا بنفسه عملا بقوله
صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك ثم ادرج معه من هو كنفسه من احبابه واصدقائه فالنون للجمع او للعظمة
مشيرة الى تعظيم ما انعم الله تعالى به عليه لا لعظمة نفسه من حيث هي الى عظيم لطف اى رفق الله تعالى
بعبيده حيث اعظم التفضل عليهم بان جعل الهم بالحسنة وان لم تعمل حسنة كاملة وبالسيئة اذا تركت
كذلك والا فواحدة والحسنة اذا عملت عشرا الى ما لا قدرة لمخلوق على حصره كما مر وتأمل هذه الالفاظ
النبوية الصادرة من ينبوع الحكمة ومادة الحياة الابدية و من جملة ما ينبغي تأمله قوله في الحسنة كتبها
الله تعالى عنده فانه اشارة الى مزيد الاعتناء بها لما مر انها عندية شرف ومكانة و من جملة ذلك
ايضا قوله في الاول حسنة كاملة فانه للتاكيد ردا لما يتوهم مما مر وشدة الاعتناء بها قال في السيئة
التى هم بها ثم تركها كتبها الله عنده حسنة كاملة فاكدها بكاملة ردا لنظير ما مر وقال وان
عملها كتبها الله سيئة واحدة فاكد تقليلها بواحدة ولم يؤكدها بكاملة اشارة الى مزيد العناية
بعبيده والانعام عليهم بغايات التفضل ونهايات الرفق والمسامحة والى ان مقام الفضل اوسع من مقام
العدل كما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي
ولا يهلك على الله الا هالك اى من سمع بهذا الفضل العظيم منه تعالى لعباده ثم جبن عن متاجرته او شح عن الانفاق

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)